

دور حركات المجتمع المدني في تفعيل الحوار بين ضفتي البحر المتوسط

الاستاذ يونس مسعودي

جامعة تلمسان

الدكتور بن عمر عواج

جامعة تلمسان

ملخص:

تبين أنه للمجتمع المدني باختلاف هيئاته وحركاته دور في تفعيل وتعزيز الحوار الأورومتوسطي، كون البحر المتوسط هو مهد الحضارات منذ قديم الزمن، فحركات المجتمع المدني في الفضاء المتوسطي، تسعى جاهدة بطرق ووسائل متعددة ومنتوعة لتعزيز الحوار بين ثقافات دول البحر المتوسط.

من ذلك هدفت هذه الورقة إلى البحث في الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الحركات في تفعيل الحوار ضفتي المتوسط، إلى جانب إظهار مدى أهميتها في إنجاحه، خاصة وأنه يشكل أحد الوسائل المركزية لدى حركات المجتمع المدني الدولاتية والدولية.

Abstract :

Civil society, in its different bodies and movements, plays a leading role in activating and strengthening the Euro-Mediterranean dialogue. This is due to the fact that the Mediterranean has been the cradle of several civilizations of the past. Therefore, the civil society movements in the region are striving in various ways and means to promote dialogue between the cultures of the Mediterranean countries.

The aim of this paper is to examine the role that these movements can play in the promotion and the success of the dialogue, as a central and an international means, on both sides of the Mediterranean.

دور حركات المجتمع المدني في تفعيل الحوار بين ضفتي البحر المتوسط

الاستاذ يونس مسعودي

جامعة تلمسان

الدكتور بن عمر عواج

جامعة تلمسان

يعتبر المجتمع المدني من المفاهيم الأكثر انتشارا في السنوات الأخيرة على المستويين الأكاديمي والسياسي، محليا أو دوليا؛ كما يعتبر الحوار من المفاهيم الجديدة الذي يقصد به ذلك التفاوض والتفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية؛ بحيث تتعدد أهداف الحوار الحضاري، ومنها التعارف والتواصل والتفاعل والاحتكاك الحضاري، كما يعتبر الحوار وسيلة أساسية لتجنب الصراعات.

استنادا إلى ما سبق، سيتم معالجة دور المجتمع المدني في تفعيل الحوار الأورومتوسطي، بالتركيز على فلسفة فواعل ما تحت وفوق الدولة، من خلال طرح الإشكالية التالية: ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه حركات المجتمع المدني في تفعيل الحوار الأورومتوسطي؟ وهل ساهمت هذه الفواعل في إنجاح هذا الحوار؟

وستتم الإجابة على الإشكالية المطروحة، وفقا للمحاور التالية:

أولا: فلسفة المجتمع المدني - فواعل ما تحت وفوق الدولة - والحوار الحضاري:

إن عددا من المنظمات والهيئات السياسية والثقافية والعلمية الجهوية والعالمية تأسست أصلا وأساسا من أجل نشر وتدعيم ثقافة السلم والسلام في العالم، والعمل من أجل فض النزاعات والحروب القائمة هنا وهناك بين الدول ومساندة الشعوب في تقرير مصيرها والحصول على الاستقلال، كما ظلت هذه المنظمات تسعى جاهدة إلى دعوة الشعوب إلى التأخي والاحترام والتقارب والتعايش السلمي.

ولقد كانت تدعيمات هذه المنظمات لمبدأ الحوار تدعيماً مادياً ومعنوياً وعملياً، كما سهرت على تنظيم ندوات وملتقيات وإرسال بعثات إلى كل مناطق العالم من أجل نشر وتدعيم الحوار بين الشعوب، كثقافة وتربية وتعليم (1).

ويتلخص تاريخ تطور حركات المجتمع المدني في ثلاثة مراحل، ففي المرحلة الأولى، أو بالأحرى في الجيل الأول منها، تم التركيز على أعمال الإغاثة والإعاشة، والتطبيب، غالباً في شكل مساعدات مباشرة للمنكوبين في أوقات الأزمات، كتوفير الغذاء والملجأ والعلاج الصحي؛ في الجيل الثاني منها تم التوجه إلى تقديم إعانات مدروسة محددة تمكّن مجتمعات محلية من توفير حاجاتها بنفسها بمشاريع تنموية تبني من خلالها قدرات ذاتية متنامية. أما في الجيل الثالث منها، كان التركيز على توسيع البرامج التنموية من النوع القابل للاستدامة على الصعيد الوطني. ففي هذه المرحلة الأخيرة كان الاهتمام قد تمدد من أعمال إعاشة وإغاثة وتطبيب آنية جراء كوارث طارئة، مروراً بمشاريع موقعية صغيرة منمّية للاعتماد الذاتي، إلى حث الحكومات ومساعدتها عملياً في انتهاج سياسات داخلياً تعمم اليسر المعيشي، تصون حقوق الإنسان، وتعزز الوفاق الوطني من خلال مؤسسات ديمقراطية واضحة، وخارجياً تنمي الوثام العالمي بحوار حضاري دافع للتعايش السلمي والتعاون بين الدول (2).

ويشكل الحوار الوسيلة المركزية لدى هيئات المجتمع المدني المعنية تحديداً بتوطيد السلام وتعزيز توجهات التعايش والتعاون لتحقيق أهدافها، أكان ضمن الدولة الواحدة أو ما بين الدول.

فعلى الصعيد الدولي أضحت الحوار أداة مركزية في نشاطات حركات وهيئات المجتمع المدني، بعد أن أخذت عديد من الدول والمنظمات الدولية توكل إلى هذه الهيئات بشكل متزايد مهام تتعلق بالتنمية الإنسانية، بحقوق الإنسان، بأعمال الإغاثة، وبحل نزاعات محلية، طارئة أو مزمنة.

للإشارة فإن كثير من منهجيات حل النزاعات اليوم تأتي من خبرات هيئات المجتمع المدني: تحديدا من خبرات الوساطات التي تقوم بها بين أطراف متنازعة؛ ففي أدبيات هذه الهيئات هناك تحليل لطبيعة النزاع وطرق التعامل معه، أحيانا بأساليب ترمي إلى إنهاء النزاع مباشرة، conflictresolution وأحيانا، عند تعذر التوصل للحل بشكل مباشر، بأساليب إدارة للأزمة crisismanagement على نحو يمنع تفاقم النزاع ريثما يتبلور من خلال حوار متواصل مدخل إلى حل مرض للجميع(3).

ففي ميثاق منظمة اليونسكو عبارة تقول: بما أن الحروب تبدأ في أذهان الناس، إذن في أذهان الناس يجب أن تبنى دفاعات السلام.. بمعنى آخر، ثقافة السلام هي التي تولد المنظور الذهني الذي يرى منه المرء ضرورة التحول من غشامة القوة إلى رشاد العقل، ومن مغبة الصراع والعنف إلى سلامة الحوار والتعايش؛ ثقافة السلام عندئذ تغدو المناخ الذي يربو فيه عالم محتضن لجميع الثقافات والحضارات، عالم متطور دأبا للأفضل، عالم مهيب لجميع إمكانات الخير وصاد لجميع إغراءات الشر، عالم مُسالِم مع نفسه ومتعاون مع بعضه: أمما ودولا كبيرة وصغيرة.

لاستخدام مثل هذا العالم مع حلول الألفية الجديدة تبنت الأمم المتحدة في آخر عام من الألفية الأخيرة -عام 1999- "إعلان وبرنامج عمل لتفعيل ثقافة السلام"، ثقافة السلام، أو ثقافة نبذ العنف، تقوم على الالتزام والعمل بقيم الحرية والعدالة والمساواة واحترام التعددية الثقافية للأفراد وللشعوب(4).

فمن بين أهم مقومات الحوار الحضاري وأهميته في بناء المشترك الإنساني من خلال الدور الذي تلعبه حركات وهيئات المجتمع المدني، فلن يكون هنالك حوارا حضاريا حقيقيا إلا إذا التزم المجتمع الإنساني بما يضمن ذلك من شروط، ومن ذلك نذكر:

- الإيمان بمبدأ الاختلاف.

- الاعتراف المتبادل: فلا حوار بدون الاعتراف بوجود الآخر، وبأهمية دوره في البناء والتغيير؛ فالحوار أسمى مرتبة من التعارف، ولا تعارف بلا اعتراف.
- الثقة بين أطراف المجتمع الإنساني.
- الإنصاف والعدل والمساواة.
- نبد التعصب والكراهية.
- مبدأ التكافؤ والتوازن: ذلك انه كلما توازنت القوى اتسع مجال الحوار (5).

من هنا تبرز الأهمية والدور الذي تلعبه حركات وهيئات المجتمع المدني في تفعيل وتعزيز الحوار بين الحضارات -الثقافات-.

فأهمية ودور حركات المجتمع المدني المعنية بالحوار كعملية أساسية في حل النزاعات وخلق الوئام والوفاق على جميع الأصعدة، إذ تؤدي وظيفة هامة في دعم ثقافة السلام، وتحتاج إلى الدعم من قبل الحكومات والمنظمات الدولية، كما من قبل سائر المواطنين. ولأن الحال البشري واحد، بمعنى أن في المؤدى الأخير ما يصدق في حال فرد يصدق في حال مجتمع، وما يصدق في حال أي فرد أو مجتمع يصدق في حال سائر الأفراد والمجتمعات، فإن ذلك يؤكد ضرورة الحوار كوسيلة بين الأفراد في الوطن الواحد كما بين الأمم. أيضا، بما أن العوامل التي تؤثر إيجابا أو سلبا في أحوال الأفراد والأمم هي نفسها بالنسبة للناس في كل زمان ومكان، بصرف النظر عن فارق دين أو ثقافة أو عرق أو إيديولوجية، فإن ذلك يؤكد عمق التخاصم والتصادم بدافع عصبية من أي نوع، ويجعل صلاح الأفراد وفلاح الأمم، مهما اختلفوا، في التعايش والتعاون في جميع الأحوال (6).

فسواء أكانت هذه الحركات عالمية ودولية أو جهوية وإقليمية أو محلية ووطنية، فهي مطالبة بصيانة كرامة الشعوب كيفما كان لونها وأصلها وعقيدتها وموقعها من الكرة الأرضية، فمنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم، واتحاد الدول الإفريقية وغيرها من المنظمات قد تلعب دورا مهما وأساسيا في تدعيم ونشر ثقافة الحوار والسلم بين الدول والشعوب (7).

كما إن هذه المنظمات ظلت فاعليتها في كثير من الأحيان محدودة وربما قريبة من الفشل وذلك للصعوبات المادية والمعنوية التي اعترضت سبيلها ومنعتها من القيام بواجبها، حيث فرضت عليها بعض التوجهات السياسية والإيديولوجية والاقتصادية من قبل أنظمة وحكومات ديكتاتورية أو استعمارية، ورغم ذلك فإنها تبقى أساسية ومهمة في فض عدد من النزاعات وعدد من التوترات في العالم والعمل على نشر ثقافة الحوار والسلم والسلام، وهي القيم الأساسية التي تأسست من أجلها (8).

ففي دراسة أجراها الباحث "محمد مسعد ياقوت" حول موضوع: "حوار الحضارات"، قام باستخلاص مجموعة من النتائج وخرج بمجموعة من التوصيات بصدد هذا البحث، وهي (9):

- وضع استراتيجية بعيدة المدى لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات، وذلك من خلال استخدام معطيات التقنية الحديثة لتدعيم هذا الحوار الحضاري وتشجيع مجالات الترجمة في هذا الخصوص.
- تكثيف اللقاءات والمؤتمرات والندوات ومعارض الكتب مع الحضارات الأخرى لدراسة المسائل التي تهم الطرفين من أجل تشكيل مفاهيم مشتركة حولها وتحليل النفوس والعقول من وطأة الصراع التاريخي بين الحضارات.
- بذل الجهود الدولية السلمية الفاعلة من أجل حل المشكلات الكبرى المعقدة والمزمنة التي تشكو منها المناطق التي يتولد فيها العنف والتمييز العنصري.
- التأكيد على أهمية القيم الإسلامية في تحقيق كرامة الإنسان وإقامة العدل، وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشرية من الكوارث، والفقر، والجهل والتدهور الأخلاقي.
- بث روح التعاون التسامح والمساواة والتضامن واحترام التنوع الثقافي بين الشعوب وخصوصيته.
- دعم العلماء والباحثين والأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث لإنجاز بحوث ميدانية وتطبيقية تتعلق بحوار الحضارات.

- العمل على بناء أمن عربي إسلامي قوي، وإنشاء مجلس الأمن الإسلامي العربي.

- اجتماع قادة الدول العربية والإسلامية من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي للبدء في تنفيذ المشروع العربي الإسلامي لحوار الحضارات، ووضع اللمسات الأخيرة على معالم هذا المشروع.

كما اقترح الباحث "محمد مسعد ياقوت" أيضا، مجموعة نقاط عديدة، الأساسية منها تمثل في (10):

- تأسيس موقع حوار الحضارات العربي الإسلامي العالمي باللغات الحية على شبكة المعلومات يتضمن بنك معلومات (الكتب والأبحاث، المقالات والتقارير، الوثائق والملفات، المؤتمرات والمنتديات).

- تفعيل ومساعدة المؤسسات العربية والإسلامية الناشئة، مثل:

- المركز الدولي للحوار بين الحضارات: والذي تأسس في ديسمبر 1998 في طهران.

- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو): وهي تعمل على إشاعة قيم الحوار بين الحضارات، ودعوة النخب المفكرة والمثقفة في العالم إلى المشاركة في الندوات الدولية التي تعقدها حول هذا الموضوع.

فهذا، كلّه دليل على مدى أهمية الدور الذي تلعبه حركات المجتمع المدني بمختلف تشكيلاتها خاصة التي تعنى بالجانب الثقافي والعلمي منها، في تفعيل الحوار الحضاري والقافي بين الشعوب وتعزيزه.

ثانيا: أهمية ودور الفواعل الدولانية والدولية في تفعيل وإنجاح الحوار الأورومتوسطي:

من المؤكد أن إقليم البحر المتوسط يشكل بفضل ماضيه وجوانب كثيرة من حاضره، منطقة ذات طابع متنوع تنوعاً لا ينفى عنها بأي حال وحدتها، فهذه الوحدة وذلك التنوع من صنع الجغرافيا والتاريخ. ومع ذلك، فمن المؤكد أيضاً أن هذه المنطقة ليست منعزلة عن بقية العالم؛ بل إنها، على العكس، تشكل إحدى الساحات الرئيسية للمواجهة والنزاعات التي تشهدها المنطقة، ولهذا تعتمل فيها قوى متناقضة يعمل بعضها في اتجاه العالمية الدافعة إلى التجانس، بينما يعمل البعض الآخر، على العكس، في اتجاه التباعد الناجم إما عن عدم التكافؤ في تنمية الرأسمالية وإما عن رفضها (11).

فأصبح الجانب المدني عضو رئيسي في الحراك الاجتماعي للبلدان والدول الأوروبية ومتوسطة، وأي إقصاء لدور حركاته ومنظماته يعني إقصاء لشرائح أساسية في الحياة الفاعلة للمواطنين. ولعل المجتمع الأوروبي أي الجانب الشمالي صاحب مبادرة الشراكة (12) وصل من النضج في مجتمعاته لاستيعاب عمل الحركات المدنية الفاعلة في تطوير وإنماء مجتمعاتها، وبات التعامل بين المدني الأوروبي والحكومي الأوروبي تعامل استشاري ومطلبي وإن اختلفت المصالح وتضاربت أحياناً.

وتحدث الدكتور "عادل فقيه" عن تأسيس مجموعة الحكماء من أجل تطوير الحوار بين الشعوب والثقافات في الفضاء الأورومتوسطي والتي أنشئت بمبادرة من رئيس المفوضية الأوروبية "رومانو برودي" قد بدأت هذه المجموعة أعمالها في سنة 2003 وانتهت من وضع تقريرها في نهاية العام نفسه، ويركز هذا التقرير على توسيع الاتحاد الأوروبي، وعلى هويته وعلاقته مع باقي العالم بدءاً بالبلدان والمناطق التي يقيم معها روابط حوار.

ومن جهة أخرى يهدف التقرير إلى خلق الشروط الملائمة لتحقيق مزاجية متوافقة بين التنوع الثقافي والديني على وجه الخصوص وحرية الوعي بدون أي قيد؛ كما يركز كذلك على جعل المساواة مبدءاً مؤسساً للحوار في الفضاء الأورومتوسطي على أن تضطلع النساء بدور فاعل؛ بالإضافة إلى ذلك، يؤكد التقرير أن التعليم يشكل النقطة الأساسية في مجموع الآلية المقترحة، وبدونه لا جدوى للحوار في ظل غياب الفاعلين القادرين على تلقي المعرفة

ونشرها؛ وفي هذا الصدد، فإن دور وسائل الإعلام في الحوار بين الثقافات هو رئيسي بلا شك، ويزود الرأي العام بالمعلومات والأخبار (13).

ففي الأخير يمكن القول على أن المجتمع المدني بمؤسساته وهيئاته يمثل ثقلا في الأنظمة السياسية بمختلف ثقافات وحضاراتها ودياناتها، فيلعب دورا بالغ الأهمية كونه يمثل الضابط الاجتماعي في المجتمعات، أو يلعب دور التحكم الاجتماعي كما جاء به "جول ميغل" في دراسة أجراها على علاقة الدولة بالمجتمع، وكان ذلك في كتابه الموسوم بـ "الدولة في المجتمع"؛ ولم يقف دور المجتمع المدني عند هذا الحد، بل تعدد وظائفه ومهامه سواء في المجال الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي، الثقافي، الحضاري والديني... الخ، سواء على المستوى المحلي أم الخارجي.

أما من حيث دور حركات المجتمع المدني في تفعيل الحوار بين الحضارات، وتعزيزه وتقوية أواصره، كانت بالضرورة هو نبذها للصراعات والحروب بين الشعوب باختلاف ثقافات وحضاراتها... الخ، فهي أصلا تعد أداة من أدوات الحوار، من خلالها يتم اللجوء إلى الحوار ونبذ الطرق الصراعية، فهي تلعب دورا هاما في المجال التعاوني أكثر منه الصراعي.

كما يحتل موضوع "الحوار الأورومتوسطي" -الشراكة الأورومتوسطية- مكانا هاما في الفكرين الاقتصادي والسياسي، كما أن أي تحليل علمي لهذا الموضوع لا يخرج عن الإطار النظري والعملي (التطبيقي)، مع دراسة العامل التاريخي، البيئة (الاجتماعية، الداخلية، الخارجية... الخ) التي تتأثر وتتأثر؛ فـ "مشروع الشراكة الأورومتوسطية" يعتبر حصيلا تفاعل مجموعة من العوامل والمؤثرات التاريخية والثقافية والحضارية والاقتصادية التي سادت حوض المتوسط عبر تاريخها الطويل.

فبغض النظر عن باقي الأهداف والمهام الأخرى للمجتمع المدني المتوسطي، فإنه يبقى دائما وسيلة للتعاون وتحقيق السلم في المنطقة، وتحقيق التعايش السلمي بين شعوب المنطقة باختلاف الثقافات والديانات.

التهميشات:

(1) سعيدي محمد، "حوار الشعوب في ظل التعايش الديني والحضاري والثقافي"، مجلة الفكر المتوسطي. ع.01، ديسمبر 2012، ص.08.

(2) صادق جواد سليمان، "دور هيئات المجتمع المدني في تعزيز ثقافة الحوار وأثر الحوار في نشر السلام والتعايش والتعاون"، الندوة الدولية حول حوار الحضارات والثقافات. لندن: مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، 2006، من الموقع الإلكتروني: <http://asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-947.htm>، تم تصفح الموقع: 2013/06/03.

(3) المرجع نفسه.

(4) سيد ياسين، "تبادل حضاري وثقافي"، ندوة علمية حول حوار الحضارات بين دول البحر المتوسط. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، أكتوبر 2005، من الموقع الإلكتروني: <http://www.medmem.eu/ar/notice/BIB00055>، تم تصفح الموقع: 2013/06/03.

(5) البشير أبرزاق، "الحوار الحضاري والمشارك الإنساني"، الإسكندرية: شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، من الموقع الإلكتروني: <http://diae.net/2049>، تم تصفح الموقع: 03/06/2013.

(6) صادق جواد سليمان، مرجع سبق ذكره.

(7) سعيدي محمد، مرجع سبق ذكره، ص.10.

(8) المكان نفسه.

(9) مسعد محمد ياقوت، "حوار الحضارات وخناجر في جسد الإسلام"، بحث منشور على موقع نبي الرحمة. من الموقع الإلكتروني: www.nabialrahma.com، تم تصفح الموقع: 2013/06/03.

(10) المرجع نفسه.

(11) سمير أمين وفيصل ياشير، البحر المتوسط في العالم المعاصر: دراسة في التطور المقارن الوطن العربي وتركيا وجنوب إفريقيا. تر. ظريف عبد الله، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988، ص.120.

(12) الشراكة كمفهوم هي قبول الآخر وفق معايير تحددها بنود معنية يلتزم بها الطرفان وأي نقض لها يلغي واقع الشراكة ويهدد من دعائمها.

(13) عادل فقيه، "حوار الشعوب والثقافات في الفضاء الأورومتوسطي"، مجلة الجيش اللبناني. ع.234، كانون الأول 2004، من الموقع الإلكتروني: <http://www.learmy.gov.lb/ar/news/?6414#.Ua5ropyp2AM>، تم تصفح الموقع: 2013/06/03.